

الرفق بالحيوآن
فِي
شَرْعِ الْإِسْلَامِ

أ.د. كرستين ستيلت
أستاذ مساعد القانون والتاريخ
جامعة نورث ويسترن - شيكاغو - أمريكا

تقرير علمي

عن كتاب: «الرفق بالحيوان في شريعة الإسلام»

لؤلؤفته

أ.د. كريستين ستيلت

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد بن عبدالله؛ الرحمة المهداة والنعمة المسداة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن سار على هديهم إلى يوم الدين، وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين السابقين.

فقد كتبت الأستاذة الدكتورة كريستين ستيلت كتاباً عنوانه «الرفق بالحيوان في شريعة الإسلام»، ومحتوى الموضوعات التي اشتمل عليها وهي كالتالي:

- ١- المقدمة؛ وقد استعرضت فيها بعض صور التعامل المسيء للحيوان في السلوك اليومي لمن بيدهم الولاية عليه، وأن ما في الكتاب يمثل دليلاً في هذا الطريق يبين الأسلوب المناسب للتعامل مع الحيوان، كما أنه بمثابة المرشد في الأمور المتعلقة بالتعامل الأمثل مع الحيوانات في الحياة اليومية وكيفية، ويمثل أيضاً تذكيراً للناس بالقواعد السامية والقيم الإنسانية الراقية التي يدعو إليها الإسلام في التعامل مع الحيوان.
- ٢- الإسلام دين الرحمة والعدل؛ وفيه أظهرت أن معنى الرحمة التي جاء بها الإسلام يتسع ليشمل المخلوقات كافة، ومنها الحيوانات، وأوردت كثيراً من الأدلة الشرعية المؤيدة لما أوردت أن تقوله.

نتقدم بالشكر لكل من

”
Animal People
ANIMAL PEOPLE

و”Marchig Animal Welfare Trust“

على مساهمتهما في إنجاز هذا الكتاب

٣- التاريخ الإسلامي وقيمة الرفق بالحيوان: وفيه أوضحت أحداث التاريخ الإسلامي، وما تركه من آثار تدل على أن المسلمين قد استوعبوا بفهم جيد ما دعا إليه الإسلام للرفق بالحيوان.

٤- المسؤولية الإنسانية عن الحيوانات: وفيه بينت الأساس الشرعي للرفق بالحيوانات الذي لا يقتصر على مجرد كونها توصيات أخلاقية أو أدبية، لكنها أحكام شرعية لها قوة الإلزام الشرعي، وأن الإخلال بأحكامها يعد خطأ موجباً للمساءلة عنه، وأن تلك المسؤولية موزعة على من يتولون أمر الحيوان، ابتداءً من مالكه وانتهاءً بالمسئولية الاجتماعية العامة عنه، والتي يمارسها الحاكم.

٥- حيوانات العمل (الخمير والخيل والجمال): وفيه شرحت ما نزل في تلك الحيوانات من الآثار الشرعية الدالة على وجوب الرفق بها وأهميته، وأن لها في الإسلام من العناية ما يرقى بها إلى اعتبارها أمماً أمثالنا، وأنها تقوم بمهمة كونية خلقت من أجلها، وأنها تسبح بحمد ربها؛ ولذلك يجب التعامل معها ليس على أنها أشياء مهملة، بل كائنات لها حرمة وقيمة في الحياة الإنسانية.

٦- الكلب.. ضحية سوء فهم: وفيه قدمت بياناً طيباً لما قد يبدو من وجوه التعارض الموهوم في الأدلة التي تتحدث عن الكلب، وبينت أنها محدودة الدلالة بما لا يلحق الأذى الطائش به، أو يهمل تنظيف الآنية من لعابه على نحو جيد، أو اتخاذه بدون هدف، أو الأمر لا يتجاوز مجرد حبسه للفخر والزينة وحرمانه من نعمة الحرية والتجوال التي يجربها، أو لهمة الحراسة أو الصيد التي يمكن أن يتعلم فنونها ويساعد البشر في ممارستها، وقد تعاملت مع تلك الأدلة بحذر شديد، وحرص

صديق على اكتشاف الحقيقة بحيادية وموضوعية، ودون افتئات على رأي، أو تحامل على فكر، حتى ولو كانت ترى مخالفة، ووصلت إلى بر الأمان فيما كتبه في هذا الموضوع الشائك وقدمت فيه فهماً مقبولاً، ورأياً سديداً يذكر لها فتشكر عليه.

٧- القطة.. الرفيق الدائم للإنسان: وفيه أظهرت أن للقطة حالة خاصة في الشرع والتاريخ الإسلاميين، وأنها كانت تمثل ظاهرة يومية غير مقلقة ولا منفرة من جهة الطهارة وبقايا الطعام والشراب.

٨- متى يحل قتل الحيوان؟ وفيه أوضحت الحدود الشرعية التي يجب أن يتقيد بها هذا السلك، فلا يجوز إلا في الحالات التي يبدو فيها الضرر من وجود الحيوان واضحاً أو مؤكداً، أو أن يصاب الحيوان في حادث يستحيل بعده بقاءه سليماً أو بدون ألم، وهنا يجوز قتله بوسيلة رحيمة بعد أخذ رأي المختصين في علوم البيطرة أو الصيدلة وأمثالهما من ذوي الخبرة الكبيرة في الحكم على حياة الحيوان، وذلك فيما عدا حالات ذبح الحيوان التي يجب أن تتم برفق بضمن عدم إيلاجه، أو إيذائه؛ وذلك بإحداذ الشفرة والامتناع عن ذبح حيوان أمامه، أو جره إلى الذبح جراً عنيفاً مؤذياً، كما فسرت الأثر المروي عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حين عاقب من رآه يجر الشاة من إحدى أرجلها بعنف، وقال له: «سقها إلى الموت سوفاً جميلاً» تفسيراً يفيد في قضية نقل الحيوانات لمسافات بعيدة، وأنه يجب أن يتم بأسلوب إنساني رقيق، وهذا ما يفيد ذلك الأثر الصحيح، وتؤكد السنة النبوية الشريفة في التعامل مع الحيوان برفق.

وقد صاغت المؤلفه كتابها بأسلوب سهل، ودعمت ما ذكرته متصلاً بالمبادئ التشريعية المتعلقة بالمعاملة الطيبة مع الحيوان بالأدلة الشرعية الصحيحة من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكانت أمينة في تعاملها مع تلك الأدلة؛ حيث خرجتها تخرجاً صحيحاً، ووثقتها من كتب الصحاح توثيقاً أميناً يدل على فهمها لموضوع الكتاب واستيعابها له، وإيمانها بالفكرة التي ألقته من أجلها؛ ولهذا جاء الكتاب متقفاً مع المبادئ الشرعية الصحيحة، وموافقاً لما قرره جمهور أهل العلم في المسائل التي تناولتها وأضفت عليه من روحها وطريقتها في التأليف ما يجعل مادته العلمية - رغم ما تنسم به من صعوبة الإلمام وتعذر الفهم - سلسلة يمكن فهمها من قطاع عريض إذا ما وقع الكتاب بين أيديهم.

وقد جمع الكتاب في طريقة تأليفه بين التخصص العميق والمعالجة المنسمة بطابع اليسر والوضوح، وليس فيه ما يمثل خروجاً على الشرعية الإسلامية أو مخالفةً لمبادئها.

ولهذه الأسباب، أرى أن كتاب «الرفق بالحيوان في شريعة الإسلام» لمؤلفته الأستاذة الدكتورة كريستين سنيلت جيد في مادته العلمية، ومستقيم في مناحيه الشرعية، ومفيد في الموضوع الذي كتب فيه؛ ولهذا أنصح بنشره حتى تعم الفائدة به، وأسأل الله لمؤلفته التوفيق والسداد، وهذا وباللله التوفيق.

تحريراً في ٢٠٠٨/٨/١٩ م

١٤٢٩/٨/١٨ هـ

أ.د. عبد الله مبروك النجار

أستاذ بكلية الشريعة والقانون

وعضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف

وعضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة

• مقدمة:

حماية الحيوان في التشريعات الإسلامية

كثيراً ما بهرت أثناء دراستي للشريعة الإسلامية بالقواعد الخاصة بمعاملة الحيوانات، والتي توجب معاملتها معاملة حسنة ورحيمة. وقد اتسع نطاق تلك التشريعات لتشمل أحكاماً لحماية الحيوانات التي تعمل مثل أحصنة الجر والحمير، كذلك التطلبات الخاصة بالذبح والتي تفرض استخدام الطرق الرحيمة، وأوامر خاصة بأن تعامل الكلاب والقطط برحمة في كل الحالات. إن واقع الرفق بالحيوان في التشريعات الإسلامية لهو أفضل مثال يعبر عن الشفقة والاهتمام بالخلوقات التي تعتمد على المخلوقات الأعلى الأخرى للعناية بها. ويمكن القول إنه إذا طبقت تلك التشريعات عالمياً فهي تمثل حقاً نموذجاً لكل شخص؛ لأنها قواعد تقدم الوفاية، وتقلل من حجم معاناة الحيوان بشكل جذري.

ومع ما تشكله هذه التشريعات من حماية قوية بشكل لا يصدق للحيوانات، فإن الواقع الحالي من الإهمال والقسوة على الحيوان يمثل صدمة لي. قد أصبح من الأمور العادية أن يرى فتيان يركضون عقب

كلاب صغيرة أو قطة ضعيفة ويرمونها بالحجارة، أو يربطون الجراء ويجرونها بالحبال من أعناقها، بل هم يمكن أن يتماذوا في هذا التعذيب إلى أن يقتل الحيوان. ومن الأمور العادية أيضاً مشهد الحمير (أو البغال أو الأحصنة) النحيلة والهزيلة تجر العربات الثقيلة عبر شوارع القاهرة، وقد ألهب السائق ظهورها بالسياط حتى تنزف وتقرح.

إن أنت سألت الأطفال الذين يعذبون الكلب لم يفعلون ذلك، أحياناً يجيئون أن الإسلام يتطلب هذه القسوة على الكلاب. وبالمثل، يعتقد سائق العربية لأنه يمتلك الحمار (أو البغل أو الحصان)، أن ذلك يعطيه الحق في أن يفعل ما يريد فيما يملك. هو لا يعنيه أن يعاني الحمار، أو يسقط من الوزن أو الحمل أو حتى أن يموت.

أنا أخشى أن كثيراً من المسلمين قد نسوا كيف فرض عليهم أن يعاملوا الحيوانات. أنا قد لاحظت، مثلاً، أن لأحد سحاويل أن يعط السائق أن يخفف من التحميل أو أن يتوقف عن ضرب الحمار؛ لأن الناس قد اعتادوا هذا النوع من السلوك. لذلك فإن تفادي القسوة على الحيوان أمر بسيط، وإن عدم تدخل الناس لتلك القسوة لهُو من الأمور المحزنة. وعندما يزور أجنب القاهرة ويرون هذه الأعمال، هم يفكرون - لسوء الحظ - أن هذه القسوة على الحيوانات مسموح بها، بل الأسوأ أن البعض يعتقد أن الإسلام يسمح بها.

ولقد كتبت هذا الكتيب لسببين: الأول: أنني أريد أن أظهر إلى أي مدى يقوم التشريع الإسلامي بحماية الحيوان. فعلى الرغم من الاهتمام بالإسلام وتشريعاته طوال الأعوام الماضية عالمياً، فقد كانت هذه المنطة

مفقودة في نقاشات كثيرة حول ما تكفله التشريعات الإسلامية من حماية حقيقية لحقوق الحيوان. إن التشريعات الإسلامية الخاصة بحقوق الحيوان والتي أرسيت في القرن السابع الميلادي تقدم حماية أكثر مما تكفله تشريعات الدول الأكثر تقدماً في العالم الآن. الثاني: من خلال هذا الكتيب أستحث المسلمين على التمسك بالقواعد الرائعة للدين الإسلامي الخاصة بالرفق بالحيوان. أنا أرجو أن تقوم جميعاً بتوفير عالم أكثر رفقا ومكاناً أكثر أمناً للحيوانات. يحتاج مجال الرفق وحماية الحيوانات بشدة إلى الأمثلة الإيجابية والقيادات البناءة، وأنا أدعو كل المسلمين إلى أن يكونوا هذا المثل وهذه القيادة اعتماداً على التشريعات الإسلامية الرائدة في هذا المجال.

• الإسلام دين الرحمة والعدل:

من أسس الإسلام الشديدة الأهمية: الرحمة والعدل والرفق والشفقة والعطف والإحسان، وهذه المبادئ نراها بوضوح في نصوص الدين، وفي القرآن والسنة، وفي أمثلة عديدة وردت في التاريخ الإسلامي، في مختلف عصوره.

والنبي ﷺ قال: «إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على الخرق (الخرق عكس الرفق)، وإذا أحب الله عبداً أعطاه الرفق، وما من أهل بيت يحرمون الرفق إلا حرموا محبة الله تعالى». [رواه الطبراني - برواة نقلت عن جرير بن عبد الله].

وفي نصيحة له ﷺ تروىها السيدة عائشة يقول: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه» [صحيح مسلم ٤٦٩٧].

وقد كان النبي صلوات الله وسلامه عليه عطاءً شفوياً مع كل الناس، ومع كل المخلوقات صغيرة كانت أو كبيرة. . قال ابن مسعود رضي الله عنه: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجته، فرأينا حمرة (= طائراً صغيراً كالمصفور) معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة فجعلت تُفْرِش (= تفرِف بجناحيها وتُقرب من الأرض) فجاء النبي ﷺ فقال: «من فجع هذه بولدها، ردوا ولدها إليها» [سنن أبي داود ٢٣٠٠، ٤٥٨٤].

فأنت ترى في هذا الحديث كيف أن الاهتمام بطائر صغير كهذا لم يكن غائباً عن اهتمامات النبي ﷺ، كما يتضح أن أي إنسان قد يغفل عما يجب في شأن معاملة المخلوقات الأخرى بسهولة، ودون قصد،

ومن غير انتباه منه؛ فهو لاء ليسوا أي أحد، بل صحابة النبي ﷺ وكانوا يسافرون معه، وعندما تبين لهم أهمية أن ترق قلوبهم لطائر صغير، ولأن فجعها أن تفقد صغيرها، انتبهوا للأمر ورفقوا لمعاناتها.

إن القسوة، عموماً، منبوذة ومدانة بشدة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. . والقسوة ضد الحيوان، خصوصاً، مدانة ولها عقاب، تماماً مثل القسوة ضد البشر؛ فإله مطلع على أفعال العباد، الخير سيجزى عنه، والشر سيعاقب عليه. . قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة ٧، ٨).

ومعظم كتب الصحيح الكبرى تتضمن ذلك الحديث المهم الذي يرويه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «لعن النبي ﷺ من مثل بالحيوان». [البخاري ٥٠٩١ سنن أحمد / ٢٩٦٧٦٦ / ٥٥٣٩ سنن الدارمي ١٨٩١]. ويقول ابن حجر العسقلاني صاحب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» في شرحه للحديث: «إن اللعن من دلائل التحريم. . ويشير إلى رواية أخرى للحديث هي: «من مثل بذئ روح ثم لم يتب مثل الله به يوم القيامة» [مجلد ٢٠ صفحة ٥٦، حديث ٥٥١٥].

والأحاديث الثلاثة التالية تجعل تلك المبادئ العامة واضحة تمام الوضوح:

يروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن الرسول ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرة (= قطة) حبستها فلم تطعمها ولم تدعها [تتركها] تأكل من خَشَاشِ الأَرْضِ» [البخاري ٣٠٧١].

ويرى الإمام النووي أن الحديث يشير إلى تحريم ما فعلته المرأة، وأن سبب دخولها النار كان سوء معاملتها للقطة. . يقول النووي: «في

وقد كان النبي ﷺ أول من دعا للرفق بالحيوان والعطف عليه، وأن يمدد الناس بالطعام والماء اللازمين له وأن يحسنوا إليه؛ لأنهم مسئولون عن حسن رعايته. وحتى في حال الحاجة إلى الرعاية الطبية فذلك مطلوب بحكم المسؤولية عنه، وهو أمر يدعو إليه الإسلام؛ لأن الرحمة بكل المخلوقات التي تحت مسؤوليتنا جزء أساسي من شريعة الإسلام وثقافته وتاريخه.

وفي مصر الإسلامية، في العصور الوسطى، كانت القاهرة مدينة مزدهرة عمرانياً واقتصادياً وسكانياً، وكانت الفنادق والمدارس والمساجد والقصور العامرة تملأ أنحاءها وجوانبها، وبجوار تلك المباني تجد دائماً الأماكن المجهزة لرعاية الحيوانات: من الإسطبلات والمراحات، وأحواض الماء اللازمة لسقايتها، وكذلك على بدايات طرق السفر التي ترثاها القوافل التجارية، أو تلك التي تربط بين المدن وبعضها البعض.

وقد بنى المسلمون في مصر أحواضاً لسقاية الحيوانات ملاصقة للمساجد والمدارس، وخصصوا لها الأوقاف الخيرية لتنهض بعبء تقديم الرعاية لتلك الحيوانات وتزويدها بما تحتاجه من الماء. ولم يفرقوا في ذلك بين الحيوانات المملوكة بغرض المنفعة أو الأليفة أو الضالة.

وقد كانت هذه الأحواض تبنى من الحجر أو الرخام، وتخصص باعتبارها سبلاً خيرية لسقي الناس ودوابهم وسائر الحيوانات.

ويذكر المؤرخون نماذج كثيرة لتلك الأحواض من مختلف العصور الإسلامية الوسيطة، خاصة العصر الفاطمي، والعصر الأيوبي، والعصر المملوكي، والعصر العثماني.

الحديث دليل لتحريم قتل الهرة وتحريم حبسها بغير طعام أو شراب، وأما دخولها النار بسببها فظاهر الحديث أنها كانت مسلمة، وإنما دخلت النار بسبب الهرة» [شرح التوروي مجلد ٨ صفحة ٥٠١].

والإنسان الذي يعامل الحيوان بغير ما يستحق من الرحمة الواجبة لها، تدين شريعة الإسلام فعله، وسيحاسبه الله عز وجل على ذلك، والعكس: فالرفق بالحيوان يجلب الخير للإنسان العطوف الرفيق.

وهناك قصة مشهورة رواها النبي ﷺ عن رجل سقى كلباً عطشان فغفر الله له سيئاته: «بينما رجل بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً، فنزل فيها، فشرب، ثم خرج: فإذا كلب يلهث يأكل الثرى (= التراب المتبل) من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماءً، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له، فقالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم لأجراً؟ فقال: في كل ذات كبد رطبة أجر». [البخاري ٢٢٨٦. وروايات أخرى في البخاري ١٦٨٠، ٢١٩٠].

وربما يبدو أعجب من هذا ما رواه البخاري في صحيحه [الحديث رقم ٣٢٠٨] من قصة امرأة بغي (= فاجرة، زانية) عطفت على كلب ظمآن فسقته ماءً من بئر؛ فأنقذته من الموت بفعلها، فكان نتيجة ذلك الفعل أن غفر الله لها ذنوبها؛ لأنها أنقذت حياة الكلب.

• التاريخ الإسلامي وقيمة الرفق بالحيوان:

يبين التاريخ الإسلامي أن الرفق بالحيوان قيمة إسلامية رفيعة فلم يكن الأوربيون هم أول من اهتموا برعاية الحيوانات وتأسيس الملاجئ ودور الرعاية لها، بل كان المسلمون أول من فعل هذا.

بالحطابة، والحوض الملحق بمسجد الأمير محمد بك أبو الدهب بالأزهر .
ولم يقتصر تخصيص الأوقاف على أحواض شرب الحيوانات فحسب بل إن المؤرخين يذكرون كيف أن هناك من الأمراء والسلاطين والشايخ من خصص مالا ليصبح وقفاً على رعاية الحيوانات الصالحة كالقطط والكلاب بتقديم الطعام والشراب لها في أماكن خاصة لهذا الأمر .

فما يرويه المستشرق الإنجليزي إدوارد ولیم لین في كتابه الشهير «المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم» [صفحة ٣٢٠] أن كبير كتّاب قاضي مصر في ذلك الوقت حوالي سنة ١٨٣٥م أخبره أن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس خصص وقفاً للقطط، وكان هذا الوقف حديقة تسمى «غيط القطّة» بجانب مسجده شمالي القاهرة، ولما لم يبق الأمان عليها بواجبهم وباعوها وأصبحت لا تنتج جعلت حكرًا يؤجره القاضي وينفق إيجارها في إطعام القطط، وبحكم أن القاضي حارس على الأوقاف الخيرية، وأنه يتحمل إهمال سابقه، فقد صار من التقاليد أن القطط الشريفة في القاهرة تجتمع كل يوم عصراً في الساحة الكبرى أمام المحكمة؛ لتأكل طعامها من سقط الذبائح على نفقة القاضي .

أما الأمير العثماني عبدالرحمن كتخدا الذي يرجع الفضل إليه في تأسيس الكثير من المساجد المشهورة والجوامع والشواهد والأسبلة والدور والقصور وأحواض سقي الحيوانات والعديد من المباني الجميلة التي تعطي القاهرة القديمة ملامحها الأثرية الرائعة، فتذكر كتب التاريخ أنه أسس بمصر وقفاً خيراً كبيراً؛ لتوزيع الطعام على القطط والكلاب الضالة، وبلغ مقدار ما ينفق فيه سنوياً ما يزيد على ٦ آلاف ونصف من الفضة بكثير . [انظر وثيقة وقف كتخدا برقم ٩٤٠ أوقاف صفحة ٦٦ إلى ٧٣] .

فمن عصر الدولة الفاطمية، ذُكرت أحواض عديدة بقرافة مصر الكبرى لشرب الدواب، منها: حوض قصر القرافة الذي بنته السيدة ست الملك ابنة المعز لدين الله الفاطمي سنة ٩٧٦م، وأحواض أخرى كثيرة ملحقة بجواسق القرافة رأى المؤرخ تقي الدين المقرئ في بعضها قبل أن تتخرب، ثم حوض الدواب بظهر الجامع الأقمر بشارع المعز، والذي جدده الأمير يلبيغا السالمي سنة ١٣٩٦ .

وفي العصر الأيوبي يُذكر الحوض الذي وقفه الأمير ابن هنس أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب، وأنشأ بأعلاه مسجداً مرتفعاً وساقية ماء على البئر .

أما العصر المملوكي فيذكر المؤرخون الكثير من الأحواض التي بنيت فيه لتخصص أوقافاً لسقاية الحيوانات، منها: حوض مدرسة أم السلطان الأشرف شعبان بشارع التبانة بالقاهرة، وحوض مدرسة أمير أيتمش البجاسي، أحد المماليك اليلبغاوية، تحت قلعة الجبل برأس التبانة خارج باب الوزير، وحوض سقاية الدواب أسفل ساقية مدرسة السلطان حسن بالقلعة بالقاهرة، وحوض السلطان قايتباي الذي وقفه مع بئر الماء بوكاته في الباطنية بالأزهر؛ لتشرب منه الدواب من أول النهار لآخره يومياً، وكذلك الحوض الملحق بمدرسته في منشية ناصر بالقرافة، ثم حوض ملحوق بمدرسة أخرى لقايتباي في قلعة الكيش بالسيدة زينب، وهناك أيضاً حوض مدرسة الأمير قجماس الإسحاقى بالدرب الأحمر، وكذلك حوض مدرسة إربك اليوسفي بالسيدة زينب .

ومن العصر العثماني هناك ثلاثة أحواض باقية، هي: حوض الأمير إبراهيم أغا مستحفظان بباب الوزير، وحوض الأمير عبدالرحمن كتخدا

وهذا خطأ، كما يبين الحديث السابق ذكره عن المرأة التي دخلت النار في قطة حبستها بغير طعام أو ماء فماتت.

والمبدأ الأساسي الأحق بالتطبيق في هذا الحديث السابق يذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَلًا فَخُورًا﴾ [النساء ٣٦].

وكثير من المفسرين البارزين قالوا: «إن ما ملكت أيمانكم تتضمن الحيوانات التي تمتلكونها»، فالسعدي مثلاً قال: «إن ملك يمينك قد يشمل الحيوانات والناس»، ثم ينص السعدي صراحة على ما يجب على الناس تجاه حيواناتهم، وهو «القيام بكفالتها وعدم تحميلها ما يشق عليها».

وربما يقول بعض الناس: إن الله قد أعطى للناس ولاية وسيطرة على الأرض ليعملوا فيها ما يشاءون، ولكن هذا الكلام ربما يتضمن إهمال الحيوانات والاستخفاف بها، أو الإصرار بالبيئته، ويستشهد أنصار تلك الفكرة بالآية ٢٩ من [سورة البقرة] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. وهم يزعمون أن هذه الآية تعطي للبشر الحق في أن يفعلوا في الأرض ما يشاءون من خلال مخاطبة الآية للناس ﴿خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾.

وهذا الجدل حول السلطان الإنساني الكامل التحلل من القيود تصور خاطئ؛ لأسباب عديدة: فتفسير هذه الآية توضح أن البشر عليهم مسئوليات لرعاية الأرض وكل ما عليها، بما في ذلك الحيوانات.

كما أن الشيخ محمد أبو الأنوار السادات أحد زعماء ثورتي القاهرة الأولى والثانية ضد الاستعمار الفرنسي، ونقيب الأشراف بعد الشيخ عمر مكرم خصص وفقاً [برقم ١٣٠٢ ج أوقاف] للإنفاق على الكلاب خارج زاويته بالقطم يبلغ مقداره ١٠٨٠٠ نصف فضة سنوياً، وهو مبلغ كبير بمقاييس ذلك الزمن.

ويؤكد المستشرق جوستاف لوبون عندما زار القاهرة قديماً أن رفق المسلمين بالحيوان في الشرق عظيم، حتى أن بعضهم خصص وفقاً للإنفاق منه على علاج الحيوانات المريضة.. كما يذكر أنه علم عن مسجد بالقاهرة تأتبه الققط في ساعات محددة يومياً؛ لتتناول طعامها من وقف مخصص لذلك الغرض منذ من طويل.

وهذا يتبين لنا كيف كان المسلمون سابقين في هذا المجال؛ بفهمهم لروح الدين السمحة، ونصوصه الكثيرة التي تحض على قيمة الرحمة والرفق بالحيوان الأعجم، وحسن رعاية كل ما تقع علينا مسئولية رعايته من الحيوانات.

• المسئولية الإنسانية عن الحيوان:

إذا تولى إنسان مسئولية عن حيوان ما، سواء أكان حماراً أم حصاناً أم جمللاً أم كلباً أم قطة أم غيرها من الحيوانات، فيجب عليه أن يحسن استخدام هذه المسئولية والرعاية وأن يهتم بهذا الحيوان، ونحن نسلم ونرى قصصاً رهيبة عن أناس مثلاً عندهم قطة، ولهم بسبب هذا ولاية وسيطرة عليها، فهم يرعونها في بيئهم ويقدمون لها حاجتها من الطعام والشراب... ثم يحدث بعد ذلك -ولبعض الأسباب- أن يرموها في الشوارع طائنين أنها تستطيع أن تبقى على قيد الحياة بطريقتها الخاصة

التسبب في تدمير محركها بقلة الصبر واستعجال المكسب... ونفس الأمر ينطبق على الحيوان.

وهذه ليست فقط النتيجة الوحيدة الصحيحة من فهم الآية السابقة؛ فهذا أمر منطقي ويؤيده الحديث والقواعد المرعية المطبقة عبر التاريخ الإسلامي، وستتم مناقشتها عند حديثنا عن «الخيول والحمير والجمال».

وعموماً، فإن الله جعل الناس خلفاءه في الأرض كما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر ٣٩]. فمن المفترض أننا نحمي مخلوقات الله والكون الذي أنشأه لنا وطلب منا أن نحيا فيه ونعمره، ونتعامل مع نعمه - سبحانه - وخلقه بنفس الفهم والإحساس بالمسئولية الذي كان للنبي ﷺ وصحابته وخلفاؤه يتعاملون بهما مع المخلوقات والكون ويتحملون مسؤولياتهم تجاه كل شيء طبقاً لشرع الله.

إن ما فعله البشر ويفعلونه في الأرض أحدث تأثيرات بالغة الصعوبة على الحياة فيها بصفة عامة، وعلى الحيوانات بوجه خاص.

والحيوانات التي نراها في شوارع أحياء وضواحي المدن لا يمكن أن نعتبرها مثل الحيوانات التي تعيش عالمها الخاص بحرية وعلى طريقتها الخاصة في الطبيعة؛ فهي تحتاج بالتأكيد قدرًا من تحمل المسئولية الإنسانية تجاهها.

والمصريون في العصور الوسطى كانوا على وعي تام بالمسئولية التي يجب على البشر أن يتحملوها تجاه الحيوانات؛ ففي ذلك الوقت - كما ذكرنا سابقاً - كانت القاهرة مدينة مزدهرة، وكان للحيوانات

وتفسير الجالين - مثلاً - يوضح أن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ معناه أن تلك الأشياء خلقت لكم أيها الناس؛ لتنتفعوا وتعتبروا... ويضيف السعدي أن (لكم) في الآية «للانتفاع والاستمتاع والاعتبار»، وهذا التفسيران يعينان أن البشر يستفيدون من الحيوانات بشرط أن يحترموا احتياجاتها ويرعوها حق رعايتها، واضعين في الاعتبار معاملتها برحمة ورفق... وهذه المعاني بعضها مرتبط ببعض، فمثلاً إذا كان رجل يملك حماراً، وهذا الحمار يجر عربة في الشارع، للنقل أو لبيع البضائع، فما هي أنسب الظروف الممكنة التي تجعل هذا الرجل قادراً على استخدام هذا الحمار بالشكل الأفضل؟

بالتأكيد ليس هذا ممكناً إن كانت حمولة العربة شديدة الثقل عليه، وكذلك في حالة ما إذا مرض الحمار، وأيضاً إن لم يجد طعامه على الوجه الأمثل... لكن الحمار سيؤدي عمله على أفضل وجه إذا كان مالكة يزوده بالطعام والماء الكافيين ويهتم بصحته ويتأكد دائماً من أن ما يحمله ليس شديد الثقل أو فوق طاقته.

وأحياناً يرتكب بعض الناس خطأ شنيعاً حين يظنون أنهم يستطيعون أن يشحنوا العربة بأكثر من حمولتها ويضربوا الحمار بقسوة حتى يجرها؛ وهذا علاوة على أنه خطأ يؤدي إلى أسوأ النتائج، مثله مثل التحميل الزائد لسيارة نصف نقل مع محاولة قيادتها بأقصى سرعة؛ فربما يكون هذا ممكناً لبعض الوقت ولكن ليس لكل الوقت؛ حيث إن محرك السيارة سيتعطل ويتوقف عن العمل، وهنا سيحتاج الأمر إلى إصلاحه بتكلفة أعلى بكثير مما لو كان قد تم نقل الحمولة على مرتين؛ فكان الأفضل، والأكثر ربحاً، أن ننقل السيارة حمولة مناسبة، بدلاً من

فيها نصيب وافر من الاهتمام والرعاية؛ حيث أسس المسلمون أحواضاً لسقيها، بجانب المدارس والمساجد، وهبوا لها الهبات وخصصوا لها الأوقاف التي تقوم على رعايتها، وتوفر لها كل ما تحتاجه.

واليوم .. ماذا تعني المسؤولية الإنسانية عن الرفق بالحيوان بصفة «خلافه الإنسان لله في الأرض» التي يحملها كل بني آدم، عندما نتحدث عن الرفق بالحيوان وسائر مخلوقات الله الضعيفة في كونه الواسع، ورعاية تلك المخلوقات والحفاظ عليها وعلى توازنها؟ وماذا يحدث إن كان هناك شخص ببساطة لا يحب الحيوانات؟!!

نقول: إن كل شخص ليس في حاجة لأن يأخذ قطعة ضالة من الشارع ليرعاها في بيته، وليس مفروضاً عليه أن يطعم الحمير الهزيلة التي ليس له مسئولية عنها، أو مثل ذلك .

وبالتأكيد فإن كل أعمال الخير لها ثوابها عند الله، لكنك غير مجبر على أن تفعلها كافة، إلا المفروض منها بالطبع، لكننا على قدر الاستطاعة والتيسير من المستحسن أن نتعاون مع هؤلاء الأفراد -أو الجمعيات- الذين يحاولون، من خلال الأساليب والأشكال القانونية، القيام عن الجميع بأمر رعاية الحيوانات والرفق بها والعطف عليها؛ وذلك لحل مشكلاتها التي تعتبر معاملتها بقسوة أسوأها، خاصة مع زيادة أعداد تلك الحيوانات المسكينة التي لا تجد من يطعمها أو يهتم بها.

إن الجمعيات الخيرية المعنية بالرفق بالحيوان في مصر تعمل على وقف هذه الإساءة، وعلى إيجاد حلول شرعية لتلك المشكلة، وتستحق تلك الجمعيات منا كل التقدير والدعم.. وأن نهتم بنشر روح الرفق والرحمة لكل الكائنات التي خلقها الله تعالى.. وقد حدد لنا الإسلام

بمنهجه السامي وشريعته السمحة الطرق التي ترضي الله في التعامل مع تلك المخلوقات التي هي أمم أمثالنا.

أما هؤلاء الناس الذين لا يجبرون الحيوانات، أو رعايتها، أو قد لا تسمح ظر وفهم بذلك، فعليهم على الأقل أن يفعلوا ما يجب عليهم من منطلق خلافتهم لله في أرضه، وذلك بأن يتأكدوا أن هناك مؤسسة ما -أو شخصاً ما- تقوم بالنيابة عن الجميع بمسئولية الرعاية والعناية بالحيوان بالطرق السليمة.

وعند ذلك أيضاً عليهم أن يتعاونوا، كل منهم على قدر استطاعته، وبما يتيسر له، مع الأشخاص أو المؤسسات المعنية بالأمر، ألا يتركوا الخوف أو الكراهية يدفعانهم إلى القسوة مع الحيوانات، وألا يمنعوا أحداً من مساعدها.

• حيوانات العمل .. الحمير والخيل والجمال:

تؤدي الحمير والخيل والجمال خدمات مهمة للإنسان، وفي مقابل ذلك لا بد أن يعاملها هو برحمة ورفق، وأن يقدر العمل الذي تؤديه له، وأن يحترم خدماتها له.

وهناك الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة تعلمنا كيف نترفق بالحيوان؛ فقد روى سهل بن الحنظلية قال: مر رسول الله ﷺ ببعضهم قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «تقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة» [سنن أبي داود 2180].. ومعنى (لحق ظهره ببطنه) أنه صار شديد التحافة بسبب شدة الجوع وقلة الطعام

